خير الدين عبيد

جبـــل الســـكر

*** قصص للأطفال ***

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب
دمشق – ٢٠٠٠

لماذا نتذكّر الطّفولة

كي نقطف زهر الياسمين
نضمّه عقداً
ونلبسه في أعناقنا.
كي نخربش على الحيطان
حروف أسمائنا
ونرسم

عصافيرَ وورداً.
كي نتسلّق الأشجار
ونقطف حبّات
من الكرز الأحمر
المكحّلة بخطّ أسود
كي نركض عبر دروب الحي
نختبئ خلف الأبواب
فلا يرانا
من يخبّئ رأسه بين ذراعيه
وهو لا يزال يعدّ حتّى العشرة.
كي نرى الغيوم
تتشكّل خرافاً
وطيوراً.. وعفاريت
كي نستمتع بلمعان النّجوم

تلك التي لا نستطيع عدّها
فربّما ظهرت الثآليل
على قفا أكفّنا.
كي نضحك بأعلى صوت
ونركض بأقصى سرعة
وننام
حين نضع رؤوسنا
فوق المخدّة.

←←

أحلام الألعاب

فتحت السّاعة عينيها، صباح يــوم الجمعــة، وبعد تثاؤبها، دقّت ثماني دقّات.

استيقظ نجيب، نظر إلى ألعابه فــي زاويــة الغرفة، فوجدها كئيبة، على غير عادتهــا. عــرك عينيه، جلس مسنداً ظهره إلى المخدّة، ونادى:

–صيّاح.. لماذا لم تــوقظني هــذا الــصبّاح بصوتك العذب، هل أنت مريض؟

مطّ الدّيك رأسه من باب القن، قال:

–صراحة.. مللت الصّياح، كلّ صباح كو كو ريكو، كو كو ريكو، لقد بــحّ صــوتي والتهبــت حنجرتي، أنا أحلم بالنّوم طــوال النّهــار، مثــل صديقي الأرنب.

–ماذا؟! صيّاح يحبّ النّوم!

فجأة.. نهق الحمار الوقور بــصوت عــال، وقال:

–هيه.. نجيب، على ذكر الأحلام، أحــبّ أن أحكي لك عن حلمي.

وقف الدّبّ الكبير ذو الفرو الأبيض، الــذي يشبه القطن حرّك رأسه الكرويّ، قال:

–حمار.. اسمح لي أن أتكلّم، لأنّنــي كثيــر النّسيان، أمّا أنت فمشهور بالصّبر وطول البــال، على كلّ حال، لن أطيل.

سكت الحمار على مضض، نظر نجيب إلى الدّبّ مستغرباً، قال:

-دبدوب.. هل لديك أحلام؟!

-ومن قال لك إنّ الدببة لا تحلم، أم تراك صدّقت كلام بعض النّاس أنّ الدببة غبية وبليدة، صحيح أنني كبير جداً، لكنني حسّاس.

-طيب.. بماذا تحلم؟

-حلمي الصحراء، لقد كرهت الثّلج والبرد، آه.. كم أنا مشتاق لرؤية الكثبان الصّفر، وأشجار النخيل الخضر، سأجري تحت أشّعة الشمس المحرقة، حتى يتصبب العرق من جسمي.

لم يصبر الحمار حتى ينهي الدب حديثه، فنهق من جديد، ضارباً الأرض بحافره، مشيراً إلى أنّ دوره في الكلام قد حان.

-دورك.. دورك، تفضل.

-أشكرك يا صديقي الطيب على تقديرك، وحسن استماعك، فأنا لم أنل من الناس سوى الضرب والشتائم، المهم.. عندي حلم وحيد وهو

السّباحة، لا تستغرب، فأنا أحبّها مذ كنت جحشاً صغيراً تصوّر.. في كثير من الأحيان أتخيّل سطل الماء الذي أشرب منه بحيرة كبيرة، صدقني، لكنّ صاحبي القديم- سامحه اللّه لم يشجعّني. على العكس، كان يمنعني من السير حتى في الحفر الصغيرة، المليئة بأمطار الشتاء، كان يشدّ رسني بقوّة ، ليزيحني عنها، زاعماً أنّي سأنزلق واقعاً.

التفت نجيب إلى السّلحفاة، التي كانت تقف بجانب السرير، مد يده صوبها، نقر بإصبعه على درعها العظمي، فمدّت هذه رأسها ببطء.

-صباح الخير، لقد فاتك حديث طريف، لم تسمعيه من قبل، حظّك سيء.

-ومن قال لك إنّني لم أسمع؟ أنا لم أكن نائمة كما ظننت، لقد أدخلت رأسي كي أعطي لأصدقائي فرصة للتكلّم، فلا أقاطعهم، أمّا الآن وقد جاء دوري، فأنا أعلن أمام الجميع، أن الطيران أحبّ

شيء إلى نفسي، لقد قطعت خلال مئة وخمسين عاماً، مسافة يقطعها الطائر بيوم واحد، أهذا عمر؟ أرجوك.. ضع لي جناحين، سأطير سأرى الأشجار والسّهول والبحار، سألعب مع الغيمات، وأراقص النّجمات، سوف...

-على مهلك.. على مهلك، سأحقق أحلامكم، أمري للّه.

فرحت الحيوانات، اصطفّت أمامه، فنهض إليها منادياً:

-صياح.. تعال، سأضع لك أذني أرنب.

سُرَّ الديك بأذنيه الجديدتين، نظر إلى حقل البرسيم البعيد، وقبل أن يقفز نحوه، قال نجيب:

-صياح.. كن حذراً، الصيادون يحبّون الأرانب، حاول أن تسمع خطاهم بأذنيك الطويلتين، لتنجو من رصاصهم.

ودّع صياح أصدقاءه، وقفز مقلّداً الأرنب،

قاصداً الحقل، كي ينام بهدوء.

–دبدوب.. دورك.

كانت لحظة وضع سنام الجمل على ظهـــره، من أسعد لحظات عمره لذا حمـــل قربـــة المـــاء، وجرى باتّجاه الصحراء، بغتة صاح نجيب:

–دبدوب.. دبدوب، لا داعي للقربة، فالـــسّنام مليء بالماء.

رمى الدب القربة أرضاً، وجرى مغنياً:

ركض الدّبْ عرق الدّبْ

رقص.. غنّى لحن الحبْ

–حماري الوقور، الآن ستسبح، حاول ألاّ تبتعد عن الشاطئ فالبحيرة عميقة، وأخشى عليك من الغرق.

لم يصدق الحمار أن حوافره استبدلت بأرجل بطّة، جرى إلى البحيرة، رمى نفسه فـــي المـــاء، وراح يسبح كحوت صغير.

أشار نجيب إلى السّلحفاة، فمشت إليه مسرعة -لأوّل مرة في حياتها- كأنها استبدلت عجلاتٍ بأرجلها.

ضحك نجيب، قال:

- على مهلك.. ستطيرين، ولكن بشرط.

- ما هو؟

- الطّيور تشدو، وأنا أحبّ أن أسمع صوتك.

- حاضر.. سأشدو لك أعذبَ الألحان، هيّا.. ضع لي جناحين، خلّصني.

عندما طارت السّلحفاة، شعر نجيب بالوحدة، نظر جانباً شاهد طائرته الورقيّة الملوّنة مركونة في زاوية الغرفة، اقترب منها.. حملها.. ضمّها إلى صدره مغمضاً عينيه، وراح يحلم بأنّه يمتطيها يحلّق بها عالياً، حائماً حول العالم كلّه.

الكأس

استعداد، واحد.. اثنان.. انطلاق.

كان المتسابقون العشرة، يركضون بسرعة أرنب، بينما كانت صيحات التلاميذ وهتافاتهم وتصفيقهم، تملأ فضاء باحة المدرسة.

- أسرع يا أحمد.. أسرع.

- رامي.. رامي، الحق بهم.

– هيه.. هيه.. رامز، هيه.. هيه.. رامز.

هكذا انطلقت الصّيحات من حناجر المشجّعين، الواقفين بعصبيّة خلف الخطّ الأبيض، فالتّنافس كان شديداً بين أحمد ورامي، اللذين يركضان متجاورين، لكن.. وقبل خطّ النّهاية بعشرة أمتار، ضاعف أحمد من سرعته ودعس على خطّ النهاية، رافعاً يديه، وابتسامة الفوز العريضة، مرسومة على فمه.

كانت لحظة رفعه للكأس الفضيّة، من أسعد لحظات عمره، فقد شعر بنفسه يطير عالياً، هناك.. حيث الطّيور والغيوم وقوس قزح.

كان الجميع يصفّق للفائز بكلّ انفعال وحب، باستثناء رامي، الّذي امتلأ قلبه غيظاً وحقداً.

بصراحة.. لم ينم رامي تلك الليلة، فصورة الكأس الفضيّة اللامعة كانت ترتسم أمامه دائماً، أينما التفت.

وفجأة.. لمعت في ذهنه فكرة.

فما أن طلع النّهار، حتّى فتح حصّالته، مخرجاً كلّ ما فيها من النّقود، ثمّ توجّه إلى متجر الأدوات الرياضية.

وقف أمام الواجهة الزّجاجية الأنيقة، وراح يتفحّص الأشياء المعروضة محدّثاً نفسه:

– كرة قدم، لا.. لا أريدها، مضرب تنس.. لا أحبّه، حذاء رياضي أف.. أين هي.. أين أجدها، ها.. ها، تلك هي، الكأس! إنّها الكأس الفضيّة اللامعة ذاتها.

اندفع إلى صاحب المتجر، واشترى الكأس بلا مساومة، ثمّ ركض راجعاً إلى البيت.

كانت أم رامي تغسل عندما قُرع الباب بعنف، نشّفت يديها ومضت مسرعة لتفتح.

– ماما.. ماما، باركي لي، لقد فزت

بالسّباق، ونلت الكأس.

– مبارك يا بني، هات قبلة، لكن.. لمـــاذا رجعت من المدرسة؟

– لقد صرفني المدير، قال لـــي بـــالحرف الواحد: أنت بطل يا رامـــي بإمكانـــك أن تتصرف هذا اليوم، كـــي تخبـــر والـــديك بالفوز، فيفرحا لك.

صدّقت الأم كلام ابنها، أمـــسكت بالكـــأس، ووضعتها على الرّف.

جلس رامي على المقعد المقابل للرف، وراح يتأمّل الكأس، لكنّه دهش عندما لـــم يـــرَ اللمعـــان ينعكس على سطحها، عرك عينيه، نظر إليها مـــن جديد، لا فائدة.. إنّها لا تلمع.

بغتة.. دخل والده الغرفة، وانتبه إلى الكأس، فسأله:

-رامي.. من أين الكأس؟

-ألم تخبرك أمّي؟ لقد فزت بسباق الجـــري، الذي شارك فيه كل تلاميذ الصف الرابع في أثناء التصفيات، فأهدوني الكأس وســـمحوا لـــي بيـــوم عطلة.

-مبارك يا بطل، ذكّرني أن أشتري لك بدلةً رياضيّة جديدة

فرح رامي من عرض أبيه، وعـــاد يتأمّـــل الكأس، بعد خروجه.

في هذه المرّة، لم يصدّق رامي ما رآه، فقـــد كان لون الكأس باهتاً.. شاحباً.. وقاتماً.

ذهل رامي، وضع كرسياً تحت الرّف، أنزل الكأس، انسلّ من البيـــت بهـــدوء، تاركـــاً البـــاب الخارجي مفتوحاً، وركض من جديد صوب متجر الألعاب.

– لو سمحت أريد أن تبدل لي هذه الكأس.

– لماذا يا صغيري؟

– إنّها لا تلمع.

نظر صاحب المتجر إلى الكأس دهشاً، قال:

– لكنها تلمع، انظر.. إنّها تبدو كنجمة.

– أريد واحدة غيرها.

– حاضر.. تفضّل، هذه كأس غيرها.

وصل رامي إلى البيت لاهثاً، نظر إلى أمّه، كانت لا تزال منشغلة بالغسيل، تـــنفّس بارتيـــاح، صعد الكرسيّ، واضعاً الكأس الجديدة على الرف.

–الآن.. سأستمتع برؤية الكأس اللامعة.

هذا ما قاله رامي لنفسه، وهو ينزل من على الكرسي، لكن..

وللمرّة الثانية، لم يلحظ أيّ لمعة تبدو علـــى

سطح الكأس على العكس، كانت تبدو على شـــكل قطعة حديد صدئة.

كاد عقل رامي يطير، لماذا لا تلمع كأســـه، كلمعان كأس أحمد؟

ظلّ هذا السؤال يرنّ في أذنيه، ولا يعرف له جواباً حتّى فاز في الفــصل الثّــاني مــن العــام الدّراسي، بسباق الجري عن جــدارة واســتحقاق، رافعاً أمام زملائه الكأس اللاّمعة.

السّـاعة

تَكْ.. تَكْ.. تَكْ.. تَكْ..

هذه التّكّات.. كانت تصدر كلّ ثانيـــة، عـــن ساعة المنبّه الصغيرة المدوّرة التي تشبه القمر.

مع كلّ تكّة، كان عقرب الثّواني يـــنطّ مـــن مكان إلى آخر، دائراً حول محوره بانتظام.

وفجأة.. صدر صوت غير منتظم.

تَكْ.. تَكْ تَكْ تَكْ.... تَكْ.

أحسّت الأرقام المطبوعة على وجه السّاعة، باضطراب العقرب فنظرت إليه حائرة، وقالت:

-عقرب.. ما بك، لماذا أنت مضطرب؟

-تَكْ... تَكْ. تكْ تَكْ، وكيف لا أضطرب، وحضرتكم جالسون في خلقتي؟!

-ما هذه اللهجة القاسية التي تخاطبنا بها، ماذا جرى، هل أسأنا إليك؟

-مسكينات، دائماً تتظاهرن بعدم المعرفة، طبعاً أسأتن، وإساءتكن لا تغتفر.

شعرت الأرقام بجديّة كلام العقرب، فقالت بلهجة رقيقة:

-أخي.. لو سمحت، أوضح لنا سبب انزعاجك منّا.

انتفض العقرب غاضباً، فلامس زجاج السّاعة، قال:

–لقد دخت لكثرة الدّوران، كلّ دقيقة أدور دورة، وفي النّهاية يذهب تعبي وتعب والدي عقرب الدّقائق وتعب جدّي عقرب السّاعات كلّه في الهواء، بينما أنتن تتلن التّقدير.

–ماذا تقصد؟ لم نفهم.

–سأفهمكن.. إذا سأل صاحب البيت ابنه عن السّاعة الآن... بماذا يجيبه؟ تكلّمن.. سأقول لكن، يجيبه: الساعة تشير إلى السادسة وعشر دقائق.

السّادسة.. تعني حضرة الرّقم ستّة، عشر دقائق.. تعني حضرة الرّقم اثنين ذي الظّهر المحدّب، أمّا أنا.. العقرب الذي أصيب بالصّداع لكثرة الدوران، فلا أحد يذكر اسمه، أعرفتم السّبب؟

– عفواً أيّها الصّديق، أنت تبالغ، نحن لا ننكر أنّك تعمل بجدّ ونشاط لكنّ عملك لا يساوي شيئاً، إذا لم تشر إلينا، أنت وأبيك

وجدّك، صحيح أنّنا نتضايق لحظات عندما تشير إلى ساعة الاستيقاظ، فيـــرن جـــرس المنبه، ويوقظنا، لكنّنا سرعان مـــا نفـــرح، عندما يذهب صاحب البيت إلى عمله مـــن غير أن يتأخّر اسمع أيّها الصّديق العزيـــز، كلنا مهم لمعرفة الوقت، ولا يمكن لأحـــدنا الاستغناء عن الآخر.

– بل يمكن، ســـأمحوكن بمـــساعدة أبـــي وجدّي.

تنحنح الجدّ، وقال بهدوء.

– معك حق يا حفيدي، لابدّ من إزالتهن.

هزّ الأب رأسه، قال:

– أنا أنضمّ إليكما، فالعمل لنـــا، والـــشّكر لغيرنا.

وعبثاً حاولت الأرقام استعطاف العقـــارب،

جرّبت أن تقاوم، لكنّها كانت تضعف كلّما مرّ فوقها أحد العقارب، ماسحاً طبقة من لونها.

لم تدم المعركة طويلاً، فما أن حلّ الصّباح، حتّى اختفت الأرقام تماماً من فوق وجه السّاعة.

شعرت العقارب بالنّصر، فصارت تدور بسرعة كبرى. لكن.. ما حصل لم يكن محسوباً.

فبينما كانت العقارب ترقص فرحة، رنّ جرس الهاتف أفاق صاحب البيت، وفور رفعه السّماعة، جاءه صوت مديره.

- صباح الخير.

- صباح النور.

- هل أنت مريض؟

- لا.. لماذا؟

- لقد تأخّرت هذا اليوم، فالسّاعة الآن التّاسعة والرّبع.

أرجع صاحب البيت السّمّاعة، نظـــر إلـــى ساعته مستاء قال:

– ما هذه السّاعة.. أين اختفت الأرقام؟ آه.. لقد أصبحت عديمة الفائدة، يالها من ساعة لا معنى لها.

ثمّ أمسكها –بعصبيّة– ونهض من الفراش.

أحسّت العقارب بأنّ شيئاً ما ســـيحدث لهـــا، لكنّها.. وقبل أن تفكّر في طريقة لإعادة الأرقـــام، وجدت نفسها مرميّة في سلّة المهملات.

العنكبوت والدّائرة

في غرفة صغيرة، وعلى سطح ورقة بيضاء، عاش المثلث والمربع والدائرة بحب ووئام.

ذات صباح، حدث أمرٌ تسبّب في نشوب خلاف ومشاجرة بين الأشكال الهندسيّة الثلاثة، وهاكم ما حدث:

تسلل عنكب طويل الأرجل إلى الغرفة الصغيرة،، تسلّق الحائط قاصداً إحدى الزوايا، ثمّ

شرع ينسج خيوطه الدقيقة بمهارة ناسجاً شبكة لصيد الحشرات، وفور انتهائه، ربط أحد خيوطه بالسّقف، وتدلّى متأرجحاً ولمّا وصل إلى حافّة النافذة، صاح:

– هيه.. عنكبة، تعالي.. لقد وجدت لك مكاناً تنسجين فيه شبكتك.

اقتربت العنكبة منه، قائلة:

– بالله عليك، هل وجدت المكان؟

– اقسم لك، انظري إلى السقف، هناك ثلاث زوايا فارغة.

ابتسمت العنكبة، وقالت:

– آه.. يالك من عنكب لطيف، لقد دخت وأنا أحاول أن أنسج شبكتي على فم برميل، لكنّني لم أوفّق، بصراحة.. شكل الدائرة بشع.

امتعض العنكب، قال:

– لا تذكّريني أرجوك، فأنا أكرهها أكثر من المكنسة التي يكنسون بها بيتي.

هذا ما حدث صباحاً، والآن.. لنرجع إلى الأشكال الهندسيّة كي نرى ما جرى.

فالدّائرة.. وبعد سماعها حديث العنكبوتين، شعرت بالضّيق، والتفتت إلى صديقيها قائلة:

– يا للعنكبوتين الغبيّين، كيف يقولان إن شكل الدائرة بشع؟ ألم يتذكّرا الشّمس والقمر، ألم يعلما أنّ الخطّ الذي يرسمني ليّن وجميل وهو على عكس الخطوط المستقيمة القاسية التي ترسم الأشكال الهندسية الأخرى.

انكمش المثّلث والمربع على نفسيهما، وصاحا غاضبين:

– ماذا تفلسفت؟ الآن أصبحت الخطوط التّي ترسم أضلاعنا قاسية لا تعجبك؟ إيه.. دنيا، أصبحتِ تتعالين علينا.

مسحت الدائرة وجهها، قالت:

– سامحكما الله، أنا لا أتعالى على أصدقائي، ثمّ إنّني أعترف أمامكما بعدم امتلاكي لأيّة زاوية، ذلك أنّني لا أملك أضلاعاً في الأصل.

شعر المثلّث والمربّع بالزّهو، فنسيا صداقتهما للدّائرة وقالا ساخرين:

– طبعاً لا تملكين أضلاعاً وزوايا، ونرجو ألاّ تؤاخذينا شكلك لا معنى له.

زعلت الدّائرة، احمرّ وجهها، أخذت نفساً عميقاً، انتفخت قليلاً، وفجأة.. انسلخت عن الورقة، مشكّلة بالوناً جميلاً يحلّق في فضاء الغرفة.

دهش المثلث والمربّع عند مشاهدتهما البالون، وكاد عقلهما يطق عندما سمعا العنكب ينادي العنكبة قائلاً:

– هيه.. عزيزتي، متّعي عينيك بمنظر ذاك البالون الرّائع.

الكهف

أشرقت الشّمس، فاغتسلت البيوت والبساتين بالنور وطارت العصافير مغنّية نشيد الضيّاء.

اندفع النّاس إلى الحقول، ليستمتعوا بيوم الجمعة، وخرجت أسرة (أبي سميح) إلى الغابة.

قضت الأسرة وقتاً ممتعاً، فبعد الغداء، تمشى الإخوة الثلاثة، سميح وفرحان ولبنى، غير بعيدين عن أبويهم، ينظرون إلى الصخور الرمادية

الضخمة، والأشجار الباسقة، والحشرات الغريبة.

فجأة.. شاهد فرحان كهفاً كبيـــراً، فـــصرخ دهشاً:

– انظروا إلى تلك الصخرة، إنّها محفورة.

ضحكت لبنى، قالت:

– هذا كهف يا فرحان، الإنسان القديم سكن هنا، هكذا قالت المعلّمة.

سأل فرحان:

– وماذا كانوا يأكلون؟

– ثمار الأشجار، جـــذور النّبـــات، لحـــم الحيوان.

– هل كان عندهم مسدّسات يصطادون بها؟

– لا.. لم تكن الأسلحة معروفـــة، كـــانوا يضربونها بالعظام، بالحجـــارة وبالعـــصي الغليظة، ثمّ يـــشوونها بالنّـــار ويأكلونهـــا،

شاربين بقرونها.

اقترب سميح من الكهف، قال:

– هيّا ندخل.. عسى أن نجد قرن حيــوان، فأنا عطشان، أريد أن أشرب.

أمسكت لبنى يد فرحان ودخلا، وما إن قالت –اسمعوا– حتّى ردّد الكهف صدى الكلمة:

– عو .. عو.. عو.

انفجر سميح ضاحكاً، نادى:

–لبنى.

ردّد الكهف:

–نا.. نا.. نا..

صاح فرحان بصوت عالٍ:

–عصفور

–فور.. فور.. فور.. فور.

بغتة.. قال فرحان:

-لماذا لا نمثّل حياة الإنسان القديم؟

نطّ سميح فرحاً، قال:

-فكرة حلوة، ولكن كيف؟

حكّت لبنى رأسها، قالت:

-أنا أمثّل دور الأم، فرحان ابني الـصّغير، أمّا أنت يا سميح فتمثّل دور الوحش.

-وحش؟! لكنّني لا أحبّ أن أؤذي أحداً.

-أعرف.. إنّها لعبة فقط.

ثمّ خرجت من الكهف، وبدأت تجمع الأوراق الخضراء، وتعلّقها على خصرها.

سأل فرحان:

-ماذا تفعلين؟

ردّت لبنى:

-كان الإنسان قديماً يتستّر بالأوراق، لأنّ الأقمشة لم تكن معروفة

خلع فرحان قميصه، وركض يلــمّ الأوراق، ويعلّقها على حزامه، لتشكّل زنّاراً أخضر، بينمــا مشى سميح على أربعٍ، مصدراً أصواتاً مخيفة.

أمسكت لبنى بيد فرحان، وركضا إلى داخل الكهف.

تقدّم سميح نحو فرحان بطيئاً، قائلاً:

-هم.. هم، سآكلك أيّها الصغير، إنّ لحمــك أبيض مثل الثلج.

صاح فرحان خائفاً:

-ماما.. ماما.. أنقذيني، سيأكلني الوحش.

مدّت لبنى يدها إلى جيبها، أخرجــت علبــة الكبريت التّي أحضرتها مع مستلزمات الرّحلة، ثمَ أشعلت عوداً، واقتربت من الوحش.

نفخ سميح على العود، فانطفأ.

صاحت لبنى غاضبة:

-يجب أن تهرب، فالحيوانات تخاف النّار.

استلقى سميح على ظهره من شدّة الـــضّحك، قال:

-هل أنا جبان حتّى أخاف من عود كبريت؟

سأل فرحان:

-والآن.. ماذا سنفعل؟

ردّت لبنى:

-انظر إلي.

ثمّ أمسكت قطعة فحم صغيرة، ملقـــاة علـــى الأرض، وراحت ترسم على جدار الكهـــف رأس وحش، له أنياب طويلة، وفوق رأسه حجر كبير.

قال فرحان:

-لماذا ترسمين على الجدار؟

-اسمع يا فرحان.. جدّنا الإنسان لـــم يكـــن يعرف الكلام، لذا كان يستعين بالرّسم.

بغتة.. سمعوا صوت أبيهم ينادي:

-أين أنتم يا صغار؟

ردّ سميح:

-نحن في الكهف.

دخل الأب، قال:

-ماذا تفعلون هنا؟

حكت لبنى لأبيها حكايـــة اللعبـــة، فـــضحك وقال:

-أعطني علبة الكبريت يا لبنى، لأنّ النـــار خطرة في الغابة.

ثمّ جلس على صخرة صغيرة، وأضاف:

–فعلاً.. كانت حياة الإنسان الأولى، قاسـية وخطرة، لكنّه لم يستسلم، فظلّ يعمل ويتعب، حتّى وصل إلى الحضارة التي نعيشها الآن.

ابتسم الصّغار، وعرفوا أن الإنسان يصل إلى هدفه بالاجتهاد والعمل.

الكلمات تسافر وحدها

باعد الكاتب بين سبّابته وإبهامه، تاركاً الظرف ذا الطّابع الملوّن يسقط داخل صندوق البريد الأحمر.

كان الظّلام دامساً داخل الصّندوق، حتّى أنّ الظّرف نسي وجعه بسبب سقوطه، وراح ينظر حوله خائفاً.

ورويداً.. رويداً، بدأ يرى ما حوله، نتيجة لتسلّل حزمة ضوئيّة من فتحة الصّندوق الضّيّقة،

فقد اكتشف أنّه ليس وحيداً، وإنّما يستلقي بجـــواره عشرات الظّروف.

شعر الظّرف بالسّعادة، وأحـــبّ أن يتعـــرّف على أصدقائه لكن.. وقبل أن يسلّم على أحد، أحسّ بمغص، ففطن إلى أنّ جوّ الصّندوق بارد، وربّمـــا كان ذلك هو السّبب.

والحقيقة.. أنّ المغص لم يكن بسبب بـــرودة الطّقس، وإنّما بسبب الخلاف النّاشئ بين الكلمـــات والأرقام على الأوراق الـــستّ الموجـــودة داخـــل الظّرف.

وإليكم ما حدث بالضّبط...

كانـــت الأوراق الـــستّ تتـــضمّن قصـــصاً قصيرة، وفي أسفل كلّ ورقة رقم يدلّ عليها، لكنّ الكلمات انزعجن من الأرقام، وقلن لها غاضبات:

-غريب.. كيف ترضُون علـــى أنفـــسكن أن

يجلس كلّ رقم بمفرده وسط مئات الكلمات!؟ أجبن.. ألا تستحين؟

انكمشت الأرقام على نفسها، قالت:

-نحن لسنا ثقيلي دم، حتّى نجلس معكن بلا سبب.

-وما السّبب؟ تفضّلن أوضحن.

-السبب هو ترتيب الأوراق حتّى لا يختلط بعضها ببعض، فلا تعرف الأولى من الثّانية.

-ها.. ها، وتتفلسفن أيضاً، اسمعن.. نحن نرتّب أنفسنا بأنفسنا دون حاجة لحضرتكن.

-لا تغلطن في حقّنا، صحيح أنّ الأوراق ملأى بالكلمات، لكن الأرقام مهمّة، وكما يقول المثل: الحصاة تسند الجرّة.

-ما شاء اللّه، وتضربن الأمثال! هيّا.. اخرجن من غير مطرود فلا يمكننا السّفر معكن.

وعبثاً حاولت الأرقام إقناع الكلمات، ونظـــراً لقلّة عدد الأرقام، وكثـــرة عـــدد الكلمـــات، فقـــد استطاعت الأخيرات دفع الأرقام، وإخراجها مـــن إحدى زوايا الظرف الّتي لم تلصق جيّداً.

لم يطل سفر الظرف أكثر من أيّام، فقـــد رُدّ إلى مركز البريد محتوياً ورقـــة إضـــافيّة، كتـــب عليها:

الكاتب العزيز

نرجو أن ترقّم الأوراق، كي نستطيع قراءتها بالتّرتيب وتبعثها من جديد مع جزيل الشّكر.

في اليوم التّالي.. كان الظّـــرف ذو الطّـــابع الملوّن يستلقي سعيداً داخل صندوق البريد الأحمر، يكلّم أصدقاءه، يتعرّف منهم على وجهة ســـفرهم، وبالطّبع لم يشعر هذه المرّة بالمغص، فقد كانـــت الكلمات تحكي لأصدقائها الأرقام، قـــصّة ســـفرها الأولى.

غرفـة الألعاب

دخل أكثم إلى غرفته، فوجد ألعابـــه مفكّكـــة متناثرة.

–من فعل هذا؟! لابدّ أنّها أســماء، فهـــي لا يهمّها إلاّ شرب الحليب من الرّضـّــاعة، وتفكيــك لعبي، آه.. ماذا أفعل؟

وقف أكثم حائراً، حكّ جبينه بإصبعه، وراح يفكّر بحل.

فجأة.. خطرت له فكرة.

اقترب من الدّيك ذو الذّيل الملــوّن، أمــسكه بلطف، وقال باسماً:

–ديك.. ما رأيــك بالــسّباحة، مؤكّــد أنّــك عرقان، فالجوّ حار، لا تشغل بالك، لــن تغــرق، سأضع لك رأس بطّتي، إنّها تسبح بمهارة ورشاقة.

وخلال ثوانٍ، كان للدّيك الملوّن، رأس أبيض ذو منقار عريض.

نظر الدّيك إلى أكثم غاضباً، صاح:

–واك.. واك، أريد رأسي، أنــا لا أســتطيع العيش بلا عرف أنا لا أهوى الــسّباحة، هــوايتي إيقاظ النّائمين، واك.. واك.

ضحك أكثم، وراح يتأمّل ألعابه من جديد.

كان الأرنب هو الاختيار الثّاني، فقد انتــزع ذيله الصّغير الذي يشبه جوزة القطن، وثبّت مكانه ذيل الثّعلب الطويل.

-افرحْ، هذا يسمّى ذيلاً، هيّا.. ارفع رأسك، وفاخر به رفاقك.

نصب الأرنب أذنيه محتجّاً، وقال:

-أريد ذيلي، أنا لا أستطيع القفز، ذيل الثّعلب كبير، أحسّ أنّني أجرّ ورائي عربة ثقيلة.

لم يستمع أكثم لكلام الأرنب، لقد أعجبته اللعبة، ها هو يمدّ يده صوب الكلب الجّاثم في ظل العربة.

أحسّ هذا بالخطر، لكنّه لم يتمكّن من الاختباء.

-آه يا كلبي العزيز، ما رأيك في أن أضع لك رقبة طويلة، لترى ما وراء السّور؟ إنّها ستساعدك على الحراسة.

نبح الكلب غاضباً، لكنّ نباحه لم يحمه من وضع رقبة الزّرافة له.

انقلب أكثم على ظهره من شـــدّة الـــضحك، حين نظر إلى حيواناته قائلاً:

-ها.. ها، لقد شكّلت حيوانـــات عجيبـــة، لا مثيل لها في الدّنيا.

لم يستطع الكلب صبراً، زمجر فـــي وجـــه أكثم، وهجم عليه ناسياً أنّ رقبته قد صارت طويلة جداً.

بغتـــة.. اصـــطدم رأســـه بحافّـــة الطّاولـــة الصّغيرة، وسط الغرفة، فانخلعت رقبته، وارتمـــى أرضاً.

شعر أكثم بغلطه، اقترب من كلبـــه حزينـــاً، وشرع يعيد حيواناته إلى وضعها الطّبيعي.

لكنّه.. لحظة انتهائه، فـــوجئ بهـــا تتركـــه مبتعدة.

أحسّ أكثم بالوحدة والضجر، جلس جانبـــاً،

وراح يفكّر بطريقة لمصالحتها ونيل رضاها.

الطّوق الأزرق

قطّة رشا شقراء، لها طوق أزرق، واسمها لولو.

رشا تحبّ لولو كثيراً، وتدلّلها، فالبارحة غسّلتها في طست أحمر، ونشّفتها ثمّ رشّت عليها العطر.

وأوّل البارحة، خرجتا إلى الحديقة، هناك حيث الأراجيح والألعاب.

أمّا اليوم.. فقد تغيّرت طباع لولو، فهي تموء

بصوت مزعج وتخمش رشا بأظافرها، وتقفز إلى الخزانة، حتى أنها كسرت زهرية ملأى بالورد.

غضبت رشا، نزعت الطّــوق الأزرق عــن عنق قطّتها، ثم صاحت بها:

-لولو.. أنت مزعجة، أنا أدلّلك لأنني أحبّك، فيجب ألاّ تشتّطي كي لا أكرهك.

حزنت لولو، واختبأت تحت الخزانة.

بعد ساعة، أحضرت رشــا صــحناً مليئــاً بالحليب، ونادت لولو قائلة:

تعالي يا شقراء.. لقد عفوت عنكِ.

نطّت لولو فرحة، واقتربــت مــن صــحن الحليب.

سحبت رشا الصّحن من أمام لولو، وقالت:

-لا يمكن أن تشربي الحليب، إلاّ إذا وعدتني بالهدوء وسماع الكلمة.

هزّت لولو رأسها موافقة، فركــضت إلـــى خزانتها، وأحضرت الطوق الأزرق، ثــمّ جلــست تنتظر قبالة قطّتها، الّتي كانت تلعق الحليب بلسانها الصّغير، كي تعلّق لها طوقها الأزرق الجميل.

الهـــاتف

دخل المعلّم الصّف، أمسك الطّباشير، وقبـــل أن يكتب عنوان الدرس، خرج عدنان من مقعـــده، وتوّجه إليه ممسكاً بيده ورقة وقال:

–تفضّل يا أستاذ، خذ هذه الورقة، لقد وجدتها في درج مقعدي، وقد كتب عليهـــا كلمـــات غيـــر مؤدّبة!

أمسك المعلم الورقة، فتحها وقرأها في سرّه، وعلامات الغضب ظاهرة على وجهه.

ساد الصّمت جوّ الـــصف، أفـــواه التلاميـــذ مفتوحة، قلوبهم تنبض بسرعة.

كسر المعلّم الصّمت بقوله:

–ضعوا دفاتر القراءة أمامكم، وافتحوها.

أخرج التّلاميذ دفاترهم، بينمـــا راح المعلّـــم يتجوّل بينهم.

فجأة.. وقف عند مروان، أمسك دفتره، قارن بين خطّه في الدّفتر والخط في الورقة، ثمّ رمقـــه بنظرة قاسية.

خاف مروان، واحمرّت أذناه.

قلّب المعلّم صـــفحات الـــدفتر، وإذ بورقـــة مقطوعة.

وضع الورقة الّتـــي بيـــده مكـــان الورقـــة المقطوعة، فاكتشف أنها قطعت من هذا الدفتر.

انفجر مروان باكياً، وقال:

-السماح يا أستاذ، لن أكرّر ما فعلته.

أمسك المعلّم أذن مروان، قال:

-كم رقم هاتفكم؟

-خمس وأربعون.. صفر.. اثنان وخمسون.

أكمل المعلّم الدّرس، وانقضى اليوم الدّراسي، وانصرف التلاميذ إلى بيوتهم.

في ذاك اليوم، كان مروان على غير عادته، فما إن دخل منزله حتّى جلس قرب الهاتف ذي اللون البنّي، والخوف ظاهر في عينيه، كان ينظر كلّ مدّة إليه، فيشعر بأنّه يشبه ذئباً مفترساً.

تذكّر ما فعله مع صديقه عدنان، وراح يحدّث نفسه:

-لماذا فعلت هذا، عدنان تلميذ مجتهد، المفترض أن أجتهد كي أنافسه، لا أن أغار منه وأكتب له عبارات بذيئة.

عضّ مروان على أظافره بقوّة، كأنّه يؤنّب نفسه، فجأة رنّ جرس الهاتف، كاد قلب مروان يقفز من بين ضلوعه كالأرنب، ركض إلى الهاتف، رفع السماعة، قال:

-الرقم غلط.. الرقم غلط.

لكنّه سمع على الطرف الآخر صوت عمّته.

-الحمد لله.. إنه ليس المعلم.

هكذا قال مروان، وزفر بقوّة، مصدراً صفيراً ممطوطاً.

-عفواً عمّتي، لم أميّز صوتكِ، سأنادي لك أمّي، إنها في المطبخ.

بعد قليل، وما إن انتهت المكالمة، حتّى عاد الرّعب يدب في قلب مروان، كأنّه النّمل.

وبينما هو في حيرة، يمشي جانب الهاتف بخطوات تائهة، إذ رنّ جرس الهاتف، رفع

السمّاعة، وقبل أن يكمل كلمة "آلو" جاءه صوت معلّمه:

–مروان.. أرجو أن تكون قد أحسست بغلطك، أنت تلميذ مهذّب ويجب أن تبقى كذلك.. وداعاً.

أرجع مروان السمّاعة إلى مكانها، نظر إلى قرص الأرقام فبدا له كأنّه وجه مدوّر، لكنه عابس.

فكّر قليلاً، رفع السمّاعة، واتصل بصديقه عدنان.

ومع كلّ كلمة اعتذار، كان قرص الهاتف يتحول إلى وجه مبتسم وضاحك.

فِراش من ريش

في غابة كثيفة الأغصان، اختبأ صيّاد خلف جذع شجرة كبيرة مصوّباً فوّهة بندقيّته نحو طائر جميل، يشدو على غصن قريب.

أغمض الصيّاد إحدى عينيه، كي يحسن التسديد، واضعاً إصبعه فوق الزّناد.

حزن الزّناد على مصير الطّائر، فهمس في أذن الطلقة، قائلاً:

-طلقة.. اسمعيني، الآن سيضغطني الصّياد

بإصبعه، وبالتالي سـأنقرك، فـأرجو ألاّ يـشتعل البارود في جوفك، لأنّه سيدفع المقـذوف، ويقتـل ذاك الطّائر البريء.

استاءت الطّلقة من كلام الزّناد، وقالت:

-كيف لا أشتعل، ومقذوفي متلهّف كي يقتله؟

-ولماذا يقتله؟ ألا تسمعين صوته العذب؟!

-أنا لا أطرب إلاّ لأصوات الانفجارات!!

فجأة.. ضغط الصّياد على الزناد، فحاول أن ينقر الطّلقة بلطف، وما إن مـسّها حتـى اشـتعل بارودها، وانطلق مقذوفها بسرعة البرق، مصدراً صوتاً مرعباً.

ولحسن الحظ، لم يقتل الطّائر، إنّما سـقطت منه بضع ريشات على الأرض.

أخرج الصّياد الطلقة الفارغة، ورماها علـى الأرض بنزق ثمّ مضى يبحث عن صيد جديد.

كانت الطّلقة ساخنة، فصارت تشعر بـــالبرد، لأنّ ضميرها بدأ يعذّبها.

لقد آذت الطّائر من دون ذنب، والنتيجـــة أن رماها الصّياد كما يرمي الأطفال أكياس مأكولاتهم الفّارغة.

بغتةً.. شاهدت ريش الطّائر، فزحفت نحـــوه بصعوبة وعندما وصلت، استلقت فوقه، وشـــعرت بالرّاحة.

أخذت الطّلقة نفساً عميقاً، وقالت:

–الله.. ما أحلى الطّبيعة، فمنذ أن تخلّـــصت من البارود، ذهب عني الحقد، وحل محلّه الحب.

الكـرة الأرضيّــة

دخلت سمر غرفة والدها، شـــاهدته يجلـــس خلف طاولته، يقرأ في كتاب.

اقتربت منه قائلة:

-بابا.. هل تأخذني إلى الحديقة العامّة؟ اليوم جمعة، والنّهار جميل.

نظر الأب إلى صغيرته مبتسماً، قال:

-سآخذك يا عصفورتي، اصبري قليلاً ريثما

أنهي قراءة الصّفحتين المتبقيتين.

فرحت سمر.. وراحت تتأمل الأشياء فــوق الطّاولة.

شاهدت أوراقاً بيضاً، وعلبة تلوين شــمعيّة، أقلاماً موضوعة في علبة جلديّة، وكــرة أرضــيّة صغيرة، يخترقها محور، مثبّت على قاعدة معدنيّة.

اقتربت من الكرة، وبدأت تديرها مندهشة.

كانت الكرة تحوي مساحات ملونــة بــألوان مختلفة، عليها خطوط وأسماء كثيرة.

سألت سمر:

-ماذا تسمّى هذه الخطوط؟

أغلق الأب الكتاب، قال:

-لكل خط اسم، هذا خط الاســتواء، وأشــار إلى وسط الكرة وهذان مدارا السّرطان والجدي.

-طيّب.. لماذا يشغل اللون الأزرق مــساحة

كبيرة؟

-لأنّه يرمز إلى البحار والمحيطات، إنّها تشكّل ثلاثة أرباع مساحة الكرة.

-آه.. تذكّرت، ألن تأخذني إلى اللاذقية في الصّيف؟

-طبعاً، شرط أن تنالي المرتبة الأولى.

-اطمئن.. أنا مجتهدة، لكن.. أين هي اللاذقية؟

قرّب الأب رأسه من الكرة، أمسك قلماً وأشار به إلى مساحة ملوّنة بالبنّي، قال:

-هذا قطرنا، وتلك مدينة اللاذقيّة.

أخذت سمر نفساً عميقاً، كأنّها تخيّلت نفسها أمام البحر ثمّ سألت:

-أين لبنان؟

أشار الأب إلى مساحة بنفسجيّة اللون.

-أين مصر؟

-ها هي.. إنّها باللون الأصفر.

قطّبت سمر جبينها، انحنت على الطاولة، واضعة كفّيها الصّغيرتين على خدّيها، كأنّها تفكّر بأمر ما، بينما توجّه الأب إلى غرفة النّوم ليلبس ثياب الخروج.

بعد قليل، نادى صغيرته، كي يذهبا إلى الحديقة، لكنّه لم يسمع ردّاً!

فتح باب غرفته، فوجدها تلوّن الوطن العربي بقلم الشّمع الأخضر، وترسم أراجيحَ وزهوراً وعصافير.

ضحك الأب، قال:

-أرى أنّك نقلت الحديقة العّامّة، إلى سطح الكرة.

ابتسمت سمر، قالت:

-أنا أحبّ أن ألعب مع كلّ الأطفال العرب.

مسح الأب شعر صغيرته بحنان، وقال:

-أرجو أن تكملي تلوين الكرة، لأنني أحـــب أن تلعبي مع كلّ أطفال العالم.

جبل السّكر

جلس أحمد تحت الدَّالية، المحمّلـــة بعناقيـــد العنب، يرقب النّملات اللاتي يمـــشين فـــي رتـــل مستقيم.

فجأة.. لمعت في ذهنه فكرة!!

نطّ على الكرسي، قطف حبّة عنب كبيـــرة، رماها باتّجاه الرَّتل، فتدحرجت كالكرة، وتوقّفـــت بجانب النّمل.

اقتربت منها "نموّلة" صغيرة، دارت حولهـــا،

كأنّها تتفرّج على تمثال ثمّ عضّتها وبدأت تــشدّها، فلم تستطع تحريكها.

ذهبت "نموّلة" إلى صديقاتها، وهــي تــتلمّظ الحلاوة، قائلة:

ــ اتبعنني.. لقد وجدت كنزاً.

ــ ماذا.. كنز؟!!

ــ أجل.. أجل، جبل كبير، مملوء بالسّكّر!

ركضت النّملات خلفها، وعندما وصلن، لــم يجدن شيئاً، لأنّ أحمد كان قد التقطها.

نظرت النّملات إلى "نموّلة" وقلن لها:

ــ أين جبل السّكّر.. يا كذّابة؟

ثمّ تركنها، وابتعدن.

بقيت "نموّلة" في المكان، تــروح وتجــيء،، لأنّها شاهدت حبّة العنب بعينيهــا، ولمّــا يئــست قرّرت الرّجوع، فأدارت ظهرها ومشت لكنّ أحمد

وضع حبّة العنب مرّةً ثانية.

بغتة.. التفتت خلفها فرأت الحبّة.

دهشت... "نمولّة" فأسرعت إلـــى رفيقاتهـــا، تسألهنّ الرّجوع.

تردّدت النّملات مدّة قصيرة، ثمّ سرن خلفها.

وياللعجب... كان مكان الحبّة فارغاً، تلفتـــت "نمولّة" يمنة ويسرة وهي تبكي وتقول:

ــ والله.. كانت هنا، أنا لا أكذب.

لم تصدّق رفيقاتها كلامها، فهجمـــن عليهـــا، وعضضنها، وهنّ يقلن:

ــ هذا جزاء كذبك..

حزن أحمد على "نمولّة"، وعرف أنّ مزاحه كان ثقيلاً، لذا وضع حبّة العنب أمامهن.

توقّفت النّملات عن عضّ "نمولّة" اقتربن من حبّة العنب ومصصنها، ثمّ قلن:

ــ نحن آسفات، كلامك صحيح، إنّ طعمهــا حلو كالسّكرّ.

اجتمعت النّملات حول الحبّة، وبدأن يجررنها إلى جحرهن لكنّ "نموّلة" اعترضتّهن قائلة:

ــ دعنها في مكانها، فلا حاجة لنا بهــا، وإن كانت جبلاً من السّكّر.

ثمّ نظرت إلى أحمد غاضبة، ومــضت مــع صديقاتها إلى الرّتل...

الظّلّ المخيف

مع بزوغ الـشّمس، مـطّ فرخـا الـدّوري رقبتيهما ، وزقزقا فرحين.

اليوم... سيتركان عشّهما الصغير، في أحـد شقوق الحائط، ويطيران إلى الفضاء الكبير.

حطّ الأبوان على غصن شجرة ليمون قريبة، قائلين:

ــ الطّيران شيء حلو، لا شيء ألـذّ منـه، ستريان بنفسيكما، يا اللّـه... لا تتـردّدا، حرّكـا

جناحيكما..

نظر الفرخان إلى ساحة الدّار، كأنّهما يودّعان بركة الماء الصغيرة وشجرة الياسمين، والأطفال الّذين كانوا يغنّون كلّ يوم، ثمّ حرّكا جناحيهما، وطارا إلى غصن اللّيمون بنجاح.

ابتسم الأبوان، قالا:

ــ أحسنتما يا بطلان، استريحا قليلاً، ثمّ طيرا إلى تلك المدخنة فوق السّطح.

نظر الفرخ الأكبر إلى المدخنة باستياء، وقال:

ــ إنّها قريبة جدّاً، سأطير إلى تلك القضبان المعدنيّة.

شهقت الأم، قالت:

ــ اخزِ الشّيطان، أنت تتكلّم عن هوائي التّلفاز، إنّه بعيد، وجناحاك ضعيفان.

نفش الفرخ الأكبر ريشه، قال:

ــ لا تشغلا باليكما، أنا قوي.

وقبل أن يسمع ردّاً، حرّك جناحيه وطار.

بغتة.. اصطدم بحبل غسيل، وسقط على أرض الزّقاق.

طار الأبوان إليه ملهوفين، فرأياه يئن ويتوجّع:

ــ آخ... جناحي جرح، رأسي صدع، ريشي نتف!!!

احتار الأبوان، حاولا حمله قبل أن يلتقطه أحد الأطفال لكنّهما لم يستطيعا.

فجأة... ظهر قطّ كبير من أوّل الزّقاق، طار الأبوان، وحطّا على نافذة قريبة، بينما جمد الفرخ في مكانه كالتّمثال.

لمح القط فرخ الدّوري، لحس شفتيه بلسانه،

وبدأ يجرّ قوائمه بهدوء وحذر.

حينئذٍ.. أخذ الأبوان يرتجفــان، ويزقزقــان مستغيثين.

سمعت عصافير الدّوري الزّقزقة، فهرعــت إليهما.

بعد معرفتها القصّة، راح كل عصفور يقترح حلاً:

قال أحدهم:

ــ لنطر مبتعدين، ونسلم بريشنا.

عارضه الثّاني:

ــ نحن لسنا جبناء، سنرجمه بالحصى.

سخر الثّالث، وقال:

ــ حلوة والله، سيحسب القطّ حصاك مطــراً ناعماً..

قال الرّابع:

ــ إذاً... لابدّ أنّه هالك، وهذا جزاء مــن لا يسمع كلام أبويه.

انتفض الأب، قال:

ــ لا تضيعوا الوقت.. اسمعوا... إنّ الشّمس ترسل أشعّتها الأولى، وهذا يعني أنّنــا إذا وقفنــا أمامها، ارتسم ظلّنا على أرض الزّقاق، لذا يجــب أن نطير في الهواء، على شكل حيــوان مخيــف ليرتسم ظلّه أمام القط، فيخاف ويهرب.

وبسرعة البرق... طارت العــصافير علــى شكل كلب كبير.

ذعر القط عندما رأى أمامــه خيــال كلــب يتحرّك، فهرب مسرعاً، هبطت الأم إلــى فرخهــا المجروح، وحملته بمساعدة أصــدقائها، ومــا أن وضعته على غصن شجرة الليمون، حتّى لفّ أخاه

بجناحيه السّليم وراحا يتعانقان مسرورين...

مدينة الحروف

ذات صباح... سمع الطّائر الملوّن ذو المنقار المعقوف، عن مدينة ملأى بالحروف، تقع خلف البحيرة، فرفرف بجناحيه، وطار قاصداً تلك المدينة.

البحيرة.. على الرّغم من صغرها، بدت له كبحر كبير، لكنّه ظلّ يطير ويجدّ في الطّيران إلى أن لمح على الشّاطئ المقابل، بوّابة حجريّة كبيرة، نقشت عليها حروف كثيرة، وأمامها وقف ألِفان

باستعداد واضعين على رأسيهما همزتين كبيرتين.

حطّ الطّائر تحت البوّابة، حيّا برأسه الحرفين، ودخل ماشياً.

كانت الأحواض على طرفي الطّريق، مزروعة بالنّباتات، إلاّ أنّ أشكالها لم تكن عادّية، فقد التفّت على بعضها بليونة، مشكّلة حروفاً جميلة، كالواو والصّاد والهاء..

وفجأة.. وجد نفسه أمام ساحة كبيرة، مفروشة بالزّهور مملوءة بالألعاب..

وقف الطّائر دهشاً، يتأمّل الحروف الّتي تلعب بمرح، فحرفا الجيم والخاء جالسان على حصان التّوازن، حرف النّون قاعد على الأرجوحة، يدفعه حرف الواو برأسه الكبيرة، حروف الباء والتّاء، والثّاء، أمسكن بأذيال بعضهنّ البعض وركضن مشكّلات قطاراً، حرف الياء نزل إلى بركة الماء، وراح يسبح كبطّة تتبعه ياءات صغيرة كأنّها الفراخ،

أمّا بقيّة الحروف، فقد اختارت نقطة كبيرة، وراحت تركلها كأنّها تلعب بالكرة.

سُرّ الطّائر الملوّن من هذا المشهد، وأحبّ أن يشاركهم اللعب لكن كيف... وهو لا يعرف اسم أيّ حرف منهم؟

بغتة... سمع صوتاً ينادي:

ــ هيه.. طائر،، لماذا تقف وحيداً؟ تعال والعب معنا.

التفت الطّائر الملوّن، شاهد حرف الياء ينشّف جسمه المبتل بمنشفة صغيرة، قال:

ــ شكراً لك، لكنّني غريب، ولا أعرف أحداً.

ــ هذه ليست مشكلة، اسمي ياء... صديقك ياء.

ــ ياء.... ياء، أهلاً وسهلاً، تشرّفنا.

ــ زادك اللّه شرفاً، تفضّل كي أعرّفك على أصدقائي.

سار الطّائر، خلف حرف الياء، متوجّهاً إلى وسط السّاحة حيث اجتمعت الحروف حولهما.

ــ سأذكر لــك أســماء أصــدقائي التّــسعة والعشرين، حسب التّسلسل، هذه صديقتنا الهمزة.

ــ همزة... همزة... يا مرحباً.

ــ وهذا صديقنا حرف الألف.

ــ ألف... ألف... ألِف، ماشاء اللّه، طولــك يذكّرني بشَجرة السّرو.

ابتسم حرف الألف، قال:

ــ فعلاً أنا طويل، حتّى أنّ البعض يــصفني بالمتكبّر، لكنّني لا أزعل منهم، لأنّهــم يمزحــون معي، بصراحة.. أنا متواضــع وخجــول، علــى الرّغم من وقفتي الشّامخة، إذ لا يمكن أن أنحنــي كي لا أصبح لاماً.

ربّت حرف الياء على ظهر حــرف الألــف بلطف، وقال:

ــ حقاً.... حقاً، والآن لنتابع التّعارف، هــذا حرف الباء

يليه حرف التّاء، الثّاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدّال، الذّال، الرّاء، الزاي، السّين، الشّين، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النّون، الهاء، الواو، وأخيــراً حضرتنا حرف الياء، وبالطّبع... هناك حــروف كثيرة مكرّرة تلعب معنا...

صافح الطّائر الملوّن الحروف، وراح يلعب معهم، يناديهم بأسمائهم، يطير بهم، ثمّ يرجعهم وقد علت ضحكاتهم.

كان الوقت يمرّ سريعاً، والشّمس تختفي ببطء خلف التّلّة البعيدة...

استأذن الطّائر أصدقاءه بالــذّهاب، بعــد أن شكرهم على لطفهم وفصاحتهم، وقبل أن يرفــرف طائراً، صاح حرف الباء:

ــ تمهّل أيّها الطّائر الرّائع، لا يمكن أن تغادرنا قبل أن نطلق عليك اسماً، نتذكّرك به كلّما لعبنا.

رحّبت الحروف بالفكرة، وتقافزت تريد أن يحتوي الاسم عليها، لكنّها في النّهاية، خضعت لإلحاح حروف الغين والألف والهمزة، أمّا حرف الباء، فقد اشترك مرّتين لأنّه صاحب الفكرة.

وسرعان ما وقفت الحروف الخمسة بجانب بعضها، مركبّة كلمة ببغاء.

انبسط الطّائر الملوّن ذو المنقار المعقوف من اسمه الجديد فصفّق بجناحيه قائلاً:

ــ ببغاء.. ببغاء، اسم جميل، نعم.. إنّه اسم رائع، ببغاء.. ببغاء.

ثمّ ودّع أصدقاءه وطار، بينما اصطفّت بقيّة الحروف مؤلّفة..عبارة

إلى اللقاء أيّها الببغاء الجميل...

الطّوابع المسافرة

هواية هدى... جمع الطّوابع البريديّة.

فما أن تحصل على ظرف رسالة، حتّى تمسك المقصّ الصّغير، وتبدأ بقصّ الورق حول الطّابع، محافظة على أطرافه المسنّنة ، ثمّ تلصقه على إحدى صفحات دفتر صغير، مخصّص للطوابع.

اليوم... كان يوم السّعد بالنسبة لهدى، فقد اشترت طابعاً جديداً، ولصقته على آخر صفحة،

منهية الدّفتر، بعد طول انتظار.

الطّابع الجديد، وبعد لصقه مباشـرة، شـعر بالضّيق، لأنّه حرم من متعة السّفر إلـى أيّ بلـد على عكس ماكان يحلم...

فجأة... سمع حواراً بين طابعين:

ـ أخبرني أيّها الـصّديق، إلـى أيّ بلـد سافرت؟

ـ إيه.. سؤالك يذكّرني بأحلى أيّام حيّـاتي، سافرت يا صديقي إلى مصر بلد الأهرامات وأبي الهول، أتصدّق... أحلم الآن بأنّني جـالس علـى ضفّة نهر النّيل، أتفرّج على المراكـب الجميلـة، وأنت... أين سافرت؟

ـ بصراحة.. أنا محظوظ أكثر منـك، فقـد سافرت إلى السّعودية ولحسن حظّي، كان وصولي أثناء تأدية فريضة الحج... الله... مـشهد يـنعش

القلب، أنالك الله حجّة، كي تغسل ذنوبك بالعبادة، وتحلّي فمك بالتّمر.

دهشّ الطّابع الجديد عند سماعه الحديث، التفت إلى طابع بجانبه، يسأله:

ــ وأنت... هل سافرت؟

ــ طبعاً... وما طعم الحياة بلا سفر؟ اسمع.. منذ عام، أي قبل لصقي بشهرين، سافرت إلى سوريا، دخلت الجامع الأموي الكبير ذا المآذن المتعدّدة، وزرت قلعة حلب، إحدى أكبر قلاع العالم، ولم أنسَ المرور بإدلب، حيث اكتشفت فيها أقدم حضارة في العالم... حضارة إيبلا..

وقبل أن ينهي الطّابع حديثه، شمّ الطّابع الجديد رائحة عطرة، التفت جانباً، شاهد طابعاً كبير الحجم، ملوّن الرّسوم، فسأله:

ــ هل تنبعث هذه الرائحة منك؟

نظر الطّابع الكبير نحوه مستغرباً، قال:

ــ الظّاهر أنّك جار جديد، طبعاً منّي، الكــلّ يعرف ذلك!

ــ ومن عطّرك؟

ــ من عطّرني؟ تعطّرت في بلد العطور، في فرنسا، وبعدها توجّهت وأنا بكلّ أناقتي إلى بــرج إيفل، البرج الشّهير، لقد صــعدت إلــى أعــلاه، ونظرت، أوف...أوف، منظر يسحر العقل، كــان الوقت ليلاً، والمدينة تتلألأ كصندوق جواهر، أمّــا نهر السّين، فكان يراقص تلك الأضــواء، محــوّلاً إيّاها إلى لوحة فنية باهرة، لكن.. قل لي، إلى أين سافرت أنت؟

ــ بصراحة.. أنا لم أسافر إلى أيّ بلد، لكنّني على الرّغم من ذلك، أســتطيع أن أحــدّثك عــن الأهرامات المصريّة، والكعبة المشرّفة وإيــبلا... وبرج إيفل...

حفلــة تتويـج

جمال القاعة الليلة، لا يخطر على بال.

فالثريّات تتلألأ متدلّية من السّقف ذي القبّــة الكبيرة، السّتائر المخمليّة ذات اللون الفيــروزي، تتسدل بأناقة مغطّية النّوافــذ الواســعة، الرّخــام الأسود الصّقيل، يعكس رقصات الأشعّة المنبعثــة من الثّريات، أمّا المقاعد الخشبيّة المزيّنة بزخارف نباتيّة، فهي أشبه بكراسي الملوك.

هذه القاعة، ستشهد الليلة حفلة من نوع نادر،

حيث ستنتخب الحروف الأبجديّة ــ ولأوّل مرّة ــ ملكاً للجمال.

دخلت حروف الأبجديّة الثمّانية والعشرون القاعة، جلست في المقاعد الثّمانية المتتالية، والمرتّبة كما يلي:

المقعد الأوّل تجلس عليه الحروف المجتمعة في لفظة: أَبْجَدْ، المقعد الثّاني: هَوَّز، الثّالث: حطِّي، الرّابع: كَلَمُنْ، الخامس: سَعْفَصْ، السّادس:قَرَشَتْ، السّابع: ثَخَذٌ، والثّامن، ضَظَغٌ.

كانت الحروف تبدو غاية في الجمال، فالثّياب أنيقة، والرّوائح عطرة، والابتسامات عريضة.

وبينما كانت الحروف تتجاذب أطراف الحديث، تقدّم قلم الحبر الأسود، ذو الغطاء المذهّب، من الطّاولة الصّغيرة المستديرة، وبدأ حديثه قائلاً:

ــ أبنائي الأعزّاء، طاب مساؤكم.

بصراحة... كنت لا أنوي المجيء، فأنا منذ يومين أعاني من وعكة صحيّة، لأنّ صـــاحبي ــ سامحه اللّه ــ غيرّ نوع الحبر الّذي يحقننـــي بـــه كلّما جففت، لكنّني سمعت من الثّناء العاطر علـــى أخلاقكم وحسن معاملتكم، مـــا شـــهّاني المجـــيء لرؤيتكم، فأنا على يقين من أنّي سأشفى قبل انتهاء الحفلة، كما سيكون لي في هذا اللقـــاء مجـــال لأن أتنوّر بعض الشّيء بآرائكم وأحاديثكم..

أعزّائي...

اليوم سننتخب ملكاً للجمال، صـــحيح أنّهـــا مسألة صعبة، خصوصاً عندما أنظر إلى وجوهكم الرّائعة، ومع ذلك... ولا أحلى من أن نتوّج ملكـــاً فالتّاج موجود، وهو بانتظار الملك...

والآن.. من منكم يحبّ أن يرشّح نفسه؟

رفع حرف الألف يده، تلاه حـــرف الثّـــاء، فالضّاد، وأخيراً الواو.

ــ إذاً.. المرشّحون أربعة، تفضّلوا لو سمحتم، قفوا أمام زملائكم. خرجت الحروف الأربعة، ووقفت بجانب الطّاولة الصّغيرة المستديرة.

نظر القلم إلى الحروف الجالسة، قال:

ــ لنبدأ التّصويت، من ينتخب حرف الألف.

ارتفعت أيادي الحروف بالكامل.

ــ ماشاء الله.... أرى إجماعاً، الظّاهر أنّك حرف محبوب، طيّب... من ينتخب حرف الثّاء؟

ومرّة ثانية ارتفعت الأيادي كلّها.

ــ عال... عال، لننتقل إلى حرف الضّاد.

وللمرّة الثّالثة انتُخب حرف الضّاد بالإجماع، وهذا ما حصل مع حرف الواو.

وقف القلم حائراً، مفكّراً بطريقة يستطيع من خلالها انتخاب ملكٍ للجمال.

فجأة... وقف حرف الهاء، قائلاً:

ــ سيّد قلم، أرى أن تنتخب أنت أيضاً، فربّما رجّح صوتك كفّة أحد الحروف.

حكّ القلم رأسه، وقال:

ــ هذا والله صحيح، ماكان ليخطر لي لولاك، لكن... لمن أُصَوِّت؟

فحرف الألف هو أوّل حروف الهجاء، طوله ملفت للنظر، ويضع على رأسه همزة جميلة.

الثّاء... أحد الحروف اللثّويّة، إضافة إلى الذّال والظّاء، له ثلاث نقط جميلة، تبدو وكأنّها زهرّات.

الواو... حرف جميل على الرّغم من عدم احتوائه على أيّة نقطة، فيكفيه فخراً أن كلمة ورد تبدأ به...

أمّا الضّاد... فهو إضافة إلى نقطته الجميلة الّتي تشبه الشّامة على الخد، يعدّ من أعصى

الحروف العربيّة نطقاً على غير العــرب، ولهــذا سمّيت العربيّة لغة الضّاد.

كانت الأحرف تتبــادل النّظــرات الحــائرة منتظرة النّتيجة، بينما أطرق القلم مفكّراً، لكنّه لــم يلبث أن رفع رأسه مشيراً إلى حرف الضّاد.

صفّقت الحروف بحرارة، مؤيّدة رأي القلــم، بينما وقف حرف الهاء ثانية، يقول:

ــ سيّد قلم، انتهينا من المركز الأوّل، لكن... من سيفوز بالمركزين الثّاني والثّالث.

وهنا برزت مشكلة جديدة، فهنــاك حــرف يجب عليه الخروج من المسابقة.

بغتة.. قال حرف الثّاء مخاطباً القلم:

ــ أرجو أن تسمح لي بالانسحاب.

ــ لماذا؟

ــ لسببين: أولاً... نطقي صعب، فهو يحتاج إلى إدخال رأس اللسان بين الأسنان.

ثانياً.. أحــبَّ أن أعطــي فرصــة الفــوز لأصدقائي.

هزّ القلم رأسه مبتسماً، قال:

ــ حيّاك الله، أنت شــهم، لكــن... قبــل أن ترجع إلى مكانك، أكلّفك بكلّ ودّ أن تحدّد الفــائز الثّاني والثّالث.

نظر حرف الثّاء إلى صديقه، وقال مخاطبــاً حرف الواو:

ــ أخي العزيز، يقولــون... الطّــول ثلثــي الجمال، ما رأيك أن تمنح أخاك الألــف المرتبــة الثّانية؟

ابتسم حرف الواو، قال:

ــ عمرك أطول مــن عمــري، والله كنــت سأقول عبارتك، لكنّك سبقتني.

صفّقت الحروف بحرارة للفائزين الثّلاثة، وراحت تغنّي واضعة التّاج على رأس حرف الضّاد.

خطّ التماس

فرر...ر.....ر.....ر.

هكذا انطلقت صفّارة حكم السّاحة، معلنةً بدء المباراة.

الفريقان يركضان خلف الكرة، هذا يركـــل.. وذاك ينطح، هذا يحاور... وذاك ينطّط..

التّلاميذ يهتفون مشجّعين فريقي مدرستهم:

ــ اركل.. اركل، المرمى مفتوح.

ــ صفوان.. غطِّ الجناح الأيسر.

ــ طبّقوا مصيدة التسلّل.

المباراة حامية، فالفريق ذو اللباس الأحمر، يتميّز بلياقته وحسن مناورته، أمّا فريق اللباس الأزرق، فمعروف بهجماته السّريعة وقوّة تسديداته.

الكرة تنتقل من قدم لقدم، وحكم السّاحة يرافقها كظلّها.

فجأة.. وبينما كان سامر داخل منطقة الجزاء، يسدّد باتّجاه المرمى، اعترضه حمدي معرقلاً، فوقع سامر صائحاً:

ــ الحقوني... أحسّ ساقي كسرت.

صفّر حكم السّاحة، تفحّص ساق سامر فوجدها مصابة، مدّ يده إلى جيبه، وقبل أن يُخرج البطاقة أحسّ بتلبّك واضطراب، فاللاعب الذي

ارتكب الخطأ هو زميله الذي يجلس معه في مقعد واحد.

كانت أصوات الجمهور تتعالى:

ــ بطاقة حمراء.

ــ ضربة جزاء..

وحمدي يقف أمام الحكم.. أمام صديقه ماجد، ينظر إليه نظرة توسّل وعطف

والجمهور ينادي:

-بطاقة حمراء.. بطاقة حمراء

ماجد يتذكر لحظات صداقته مــع حمــدي، الدراسة، اللعب، المناقشة و..

وأصوات الجمهور ما تزال تتعالى:

-جزاء.. جزاء.. جزاء..

ماجد ينظر إلى سامر الذي يتلوى من الألم،

يحتقن وجهه يغمض عينيه، بينما تمسك أصـــابعه البطاقة بعصبية.

الزّمن يمضي.. الجوّ يتوترّ

حمدي يقترب من سامر .. يقبّله.

سامر يهدأ قليلاً..

حمدي يمسك بالكرة، يثبتهـــا فـــي المكـــان المخصّص لركلات الجزاء ويهرول خارجاً مـــن الملعب.

ماجد يفتح عينيه رافعاً البطاقة الحمراء

حمدي على خطّ التماس

ماجد يركض نحوه معانقاً، الدّموع تنهمر من عينيهما

الجمهور يصفق

الجمهور ينسى الكرة

والملعب يزداد اخــضراراً، متحــوّلاً إلــى ساحة محبّة.

حروف من خشب

خرج التلاميذ إلى ساحة المدرسة، يتقافزون كالأرانب، بينما انزوى وحيد جانباً ليجلس علـــى مقعد حجري، تحت شجرة السرو.

اقترب منه صديقه فرحان، وقال:

-ما بك يا وحيد، لماذا لا تلعب مع رفاقك؟

احمرّ وجه وحيد خجلاً، ولـــم يعـــرف بـــمَ يجيب.

أضاف فرحان:

تعال يا صديقي.. والعب معي، فأنت دائماً تجلس بمفردك، لا تكلمّ أحداً، ولا تلعب مع أحد.

انكمش وحيد على نفسه، وخبأ رأسه بين ركبتيه!؟ جلس فرحان بجانبه، ربت على كتفه برفق، قائلاً:

–وحيد.. رفاقك لطفاء، ويتمنون أن تلعب معهم وتمزح، حاول أن تتعرف عليهم وتكلّمهم، لأنّك ستشعر بسعادة كبيرة.

نظر وحيد إلى فرحان محاولاً الكلام، لكنّه تلعثم، وبقي صامتاً. تضايق فرحان من صديقه، فتركه وذهب يلعب مع أصدقائه.

أمضى وحيد بقية الدروس، منطوياً على نفسه كعادته، ولمّا رجع إلى البيت، أكل بضع لقيمات، واندسّ في فراشه.

في المنام.. رأى وحيد فمه قد تحوّل إلى

بئر كبيرة، بينما وقف فرحان على حافتها، وأنزل حبلاً، ربط في نهايته حديدة معقوفة لينتشل بها حروفاً خشبية من جوف البئر، كي يرتبها، ويشكّل منها جملاً وعبارات.

أفاق وحيد خائفاً، وهو يقول:

– دعني يا فرحان، أنا سأتكلم بمفردي، ولن أخجل بعد اليوم.

أمام المرآة

اشترى والد علاء، لابنه ذي السنوات الخمس، قبعة حمراء. حطّ علاء القبعة على رأسه، وركض إلى غرفة نوم والديه ليتفرج عليها أمام المرآة الكبيرة.

في الممرّ.. داس على ذيل قطته الـــشقراء، فنطت وصاحت:

– مياووو.

ثم ركضت خلفه .

وقف علاء أمام المرآة، فرأى نفسه يشبه رجل الإطفاء، الذي شاهده في التلفاز قبل يومين.

نظر حوله، فلمح أخته الصغيرة هدى، مستلقية في السرير، تشرب الحليب من الرضاعة.

اقترب منها بهدوء واختطف الرضاعة، ثمّ بدأ يرجّها، ويرش نقط الحليب على الأرض.

انفجرت هدى باكية، فحضرت أمّها لتسكتها، لكنّها فوجئت بتصرّف علاء فسألته غاضبة:

- ماذا تفعل أيّها الشقي؟

- أنا أطفئ النار.

- وأين هي؟ أنا لا أرى ناراً ولا دخاناً!!

- مطّ علاء شفتيه وقال:

- كنت أقلد رجل الإطفاء، فأنا أحب أن أساعد النّاس.

ابتسمت الأم راضية، ومسحت على شعره برقة، بينما راحت القطة تلعق قطرات الحليب من

على الأرض.

☒☒☒

العجلـــة

قديماً.. كان هنـــاك عربـــة، لهـــا عجلتـــان خشبيتان، يجرها حصان أبيض رشيق.

في أحد الأيّام، وبعد مسير طويـــل، قـــرّرت إحدى العجلتين التخلّص من صديقتها العربة، لأنّها تتجه دائماً في الاتجاه نفـــسه الـــذي يمـــشي بـــه الحصان.

تململت العجلة

انخلعت المسامير

وانفصلت عن العربة

درجت العجلة الطليقة فرحةً فوق الــدروب، تشدو أغنية الحرية وتنط بسعادة كلما مرّت فــوق حصاة صغيرة .

وفجأة.. وصلت إلى منحــدر، حاولــت أن تفرمل، لم تستطع، فما كان منها إلاّ أن اصطدمت بصخرة كبيرة، فتكسرّت.. وصارت حطاماً.

حكايات نجمة الصبح

ذات ليلة.. تقدّمت نجمة صغيرة، من نجمـــة بيضاء مشعة، وسألتها:

– لماذا لا تختفين معنا في الليـــل، وتبقـــين حتى الصباح ؟

تنهدت النجمة البيضاء، قالت:

– أفكر في طريقة ألم فيها شمل عدد كبير من النجوم .

لمعت النجمة الصغيرة، قالت:

– الله.. ما أروع فكرتك يا نجمة الصبح، كم أتمنى أن أتعرف على صديقاتي النجمات، كي نلمع معاً ونضحك معاً، لكن.. أين سنجتمع؟

– عندي.. وسأحكي لكنّ كلّ يوم حكاية .

– وتحكين الحكايات؟! يا لك من نجمة رائعة، سآتي إليك غداً، في أوّل السّهرة، لأسمع حكاية حلوة.

وفعلاً.. حكت نجمة الصبح لضيفتها الصغيرة، في الليلة التالية حكاية ممتعة عن الصداقة.

وليلة بعد ليلة، تزايد عدد النجوم الساهرة حول نجمة الصبح حيث استمعن إلى حكايات الحب والجمال والأمل.

بعد أربع عشرة ليلة، اجتمع حول نجمة الصبح عدد كبير من النجوم، ظهرن على شكل

قرص فضيّ مضيء، سمّي القمر.

المقطورة المتمردة

في تمام الساعة التاسعة مساء، فتحت القاطرة عينيها الضوئيتين وعطست مصدرة صفيراً مصحوباً بدخان أبيض، ثم درجت فوق سكة الحديد، مغنية أغنيتها الوحيدة: تشك.. تشك..تشك.

كانت العربات المقطورة، تمشي خلف القاطرة، كرتل نملات، تتجه صوب السهول الخضراء، ثمّ تدخل الأنفاق المظلمة، وبين فترة

وأخرى تقف للراحة، ضـــمن محطـــات محـــددة، فينزل ركاب ويصعد آخرون.

ذات مرة.. وبينما كانت القاطرة تأخذ نفـــساً عميقاً، استعداداً للصفير، نادتها إحدى المقطورات الخلفية..

- هيه.. قاطرة على مهلك .

زفرت القاطرة، قالت:

-مقطورة.. ما بك.. هل حدث مكروه؟!

-لا.. اطمئني، أريد أن أطلب منك طلباً

- تفضلي.

- أرجـــو أن تتظـــاهري بـــالمرض، ولا تتطلقي .

- غريب.. لماذا.؟

- بصراحة مللت المسير، كل يوم المناظر نفسها والمحطات ذاتها، المواعيـــد نفـــسها

والسكة ذاتها، أف.. ما هذا العمر؟

– وما الحل؟

– ما الحل؟ أنت تسألين؟ ألست أنت من يقودنا؟

– صحيح.. لكنني لا أستطيع الانحراف عن السكة بمقدار شعرة وأنت تعلمين ذلك جيداً.

– لهذا السبب طلبت منك عدم المسير، لقد صارت حياتنا رتيبة رتابة لا تطاق.

– فكرت القاطرة قليلاً، قالت :

– عندي حل، حاولي أن تنظري إلى ما حولك من خلال عيون الركاب. ثم أطلقت صفيراً قوياً، وتحركت تجر العربات في الموعد المحدد. سارت المقطورة خلف صديقاتها على مضض، ناظرة حولها

بتشاؤم. بغتة.. أحسّت بأنف صغير يحك زجاجها، أمعنت النظر شاهدت طفلاً يقف بجانب أمّه، يتأمّل المناظر ويقول:

– (ماما.. انظري إلى تلك السهول الخضراء المزركشة بالزهور الملونة، إنّها تشبه سجادة صلاة جدتي.

أوه.. ما هذه الشجرة العملاقة! كنت أحسب ليمونة دارنا أكبر شجرة في العالم، تخيلي.. إذا وضعناها بجانبها، تظهر كأنّها طفلة صغيرة.

التلّة.. هناك. إنها تبدو كسنام جمل)

كانت المقطورة تنظر دهشة إلى الأشياء التي يشير إليها الطفل، فتشعر بأنّها تراها لأوّل مرّة، خصوصاً عندما سمعت الصفرات المرحة التي تطلقها القاطرة.

أحلام الثعالب

في عيد المحبة، تـــصادق الحمـــار والفـــأرة والدجاجة والثعلب.

مرّة.. وبينما كان الأربعة يتسامرون تحـــت ضوء القمر، سأل الثعلب أصدقاءه عن أحلامهـــم، فأجابه الحمار:

-أنا أحلم بأرض واســـعة مليئـــة بالبرســـيم الطري، أرعى فيها على كيفي.

قالت الفأرة:

أنا أحلم بقطعة جبن كبيــرة، مهمــا أكلــت منها لا تنفذ .

قوقأت الدجاجة، قالت:

أما أنا فأحلم بكومة كبيرة، تحتوي كل أنواع الحبوب.

وأنت.. بماذا تحلم؟ سأله الثلاثة.

لم يجب الثعلب، لأنّه كان شــارداً، مغمــضاً إحدى عينيه، حالماً أنّه يركب حماراً عليه خــرج مملوء بــالفئران المــسلوخة، والجــبن الطــازج والدّجاج المنتوف.

المحارب القديم

في إحدى قاعات المتحف الوطني، ذي الواجهة الكبيرة، المنقوشة بزخارف هندسية وحيوانية ونباتية، وقف محارب مصنوع من الجص الأبيض على قاعدة رخامية، واضعاً خوذة معدنية على رأسه، لابساً درعاً على شكل قميص من زرد الحديد، وتحتها سروال معدني له مفاصل عند الركب، منتعلاً صندلاً مصنوعاً من الجلد السميك.

كان المحارب يقف رافعاً رأسه، ماسكاً قبضة سيفه المغمد، واضعاً ترسه المرصع بمسامير نحاسية فوق صدره.

في الجهة المقابلة لذاك المحارب، وضع صندوق زجاجي كبير مليء بالمجوهرات والنقود الذهبية اللامعة.

منذ مدّة.. أي بعد وضع صندوق المجوهرات والنقود في القاعة، شعر المحارب بالضيق والغضب، فالزائرون –أكثر الزائرين – كانوا يقفون أمام صندوق المجوهرات دهشين، يشيرون بسباباتهم إلى هذا العقد، أو ذلك الإسوار خصوصاً النساء.

شدّ المحارب أصابعه على قبضة السيف، كزّ أسنانه على بعضها، قال:

– تباً لهؤلاء الزائرين، إنهم يتحلقون دائماً حول صندوق الجواهر وعيونهم مسمرة

على الأطواق والدنانير، أمّا أنا – المحارب القديم – الذي خاض المعـــارك الـــضارية، وهزم الأعداء فلا أحد يلتفت إليه.

مرة.. نفد صبر المحارب، وقرر أن ينـــتقم لنفسه، وإليكم ما حدث. دخلت فتاتـــان المتحـــف، وكالعادة.. وقفتا أمام صندوق المجوهرات تنظران إلى محتوياته بإعجاب، وبدأتا تتحازران عن أحلى عقد، وبعد طول مجادلة، توصلتا إلـــى أنّ العقـــد المزين بالعقيق الأحمر هو الأحلى، ثـــمّ اســـتدارتا تريدان الخـــروج، وفـــور رؤيتهمـــا المحـــارب، امتعضت إحدى الفتاتين، قالت:

–أفّ.. ما أبشع هذا الهيكل الحديدي الصّدئ، كيف يضعونه في القاعة نفسها التي تحتوي علـــى الذهب والأحجار الكريمة اللامعة!

هذا ما حدث، أمّا ردّة فعل المحارب، فها أنا ذا سأرويها لكم.

عندما انتهى موعد الزيارة المسائية، وأقفل الحارس باب المتحف، كان المحارب غارقاً في تفكيره، باحثاً عن طريقة يزيح بها صندوق المجوهرات من أمامه، كي تخلو القاعة له.

فجأة.. وبينما هو في شروده، انتبه إلى صوت هامس يقول:

-تعال.. تعال، لقد وجدته، ها هو.. اللّه.. إنّه مليء بالمجوهرات.. كنز، سنغتني إلى الأبد، هيّا.. افتح الكيس ريثما أنزع عنه الغطاء.

عندما سمع المحارب هذا الكلام، نسي حقده على الصندوق واصطبغ وجهه بالحمرة، وبلمح البصر، استلّ سيفه من غمده فلمع ضوء كأنه الشهاب ثم صاح:

-مكانكما أيّها اللّصان.. سأقطعكما إرباً إرباً.

ذعر اللصان، وأطلقا ساقيهما للريح، لائذين

بالفرار.

في اليوم التالي..شعر المحارب –أوّل مرّة – بالزّهو والفخر فها هم الزائرون يقفــون حولــه، مبهورين بلمعان سيفه الذي فاق لمعــان صــندوق المجوهرات، حتّى أن إحدى الفتيــات تمنــت أن يخطبها شابّ قويّ وجميل، يشبه المحارب تماماً.

المعجم

أحسّ المعجم النائم علـــى كتـــف صـــديقته الرّواية بحركة قريبة، فتح عينيه متثائباً فرأى كلمة بهلوان تنطّ أمامه برشاقة وليونة.

-هيه.. أنتِ، قفي لو سمحت، لقد أزعجتني.

-لا أستطيعِ، فأنا يا، "أخونا" دائمة الحركة.

انتفض المعجم غاضباً، قال:

-قوّمي لسانك، الفصحاء يقولون "يا أخانـــا" تذكري أنّك تتكلّمين مع معجم.

-معجم؟! هل قلت معجم؟ أخيراً وجدناك.

-حسبي الله ونعم الوكيل، لقد أخطأت ثانيـــة، اسمعي.. أنت وحيدة، إذاً قولي لقد وجدتك.

-حاضر.. سأقول وجدتك، لا تزعل .

-لست زعلان، تفضلي.. ماذا تريدين؟

وقفت كلمة بهلوان، وقالت بأدب شديد:

-بصراحة.. أريد أن أعيش بين أحضانك.

-ماذا؟! أعيدي لو سمحت، أنا أحتضن كلمة غير عربية، هل جرى لعقلك شيء؟

-أخي.. لماذا تعمل من الحبة قبّة؟

-لا تطوّلي لسانك، افهمي.. أنا لا أحتـــضن إلاّ الكلمات الفصيحة.

-أعرف، ولهذا السبب قررت العيش عندك، لقد مللت الحياة على ألسنة الناس الأميين، فهم كما تعرف لا يجيدون النطق بشكل سليم، ومـــع ذلـــك

يتكلمون بالعامية، أرجوك.. دعني أعش مع كلماتك، فقد سمعت كثيراً عن فصاحتها وجمالها، لا تكن قاسياً.. أرجوك.

حكّ المعجم رأسه مفكراً، قال:

-طيب.. كيف اسمح لك بالعيش عندي، وأنا أحتضن كلمة مهرّج؟

-لا تغلط.. صحيح أنّ المهرّج قادر على إضحاكك، لكنّه أبداً لا يقدر على القفز مثلي، انظر..

وراحت كلمة بهلوان تقوم بحركات بهلوانية مدهشة.

-حسناً.. حسناً، أمري لله، سأدخلك لكن بشرط

-ما هو؟

-أن أجلس بجوارك كلمة -معربة-

-شكراً لك.. اتفقنا.

ثمّ مدّت كلمة بهلوان رجلها تريد الدّخول،

فجأة صاح المعجم:

–تمهلي.. تمهلي، يجب أن تـــدخلي رأســـك أوّلاً، فأنا آخذ بالحرف الأوّل من الكلمـــة ولـــيس بالحرف الأخير.

–لم أفهم.

–أقصد أنّك ستعيشين في صفحة الباء وليس في صفحة النون.

–ومن يسكن تلك الصفحة؟

–صديقاتك.. كلمة بدر وبنفسج وبلبل و..

–الله.. سأعيش أحلى أيّام حيـــاتي، ســـألعب فوق زهور البنفسج البديعة، وأصغي إلـــى شـــدو البلبل المخملي، وبعدها أسهر على ضـــوء القمـــر لأكتب أحلى الأشعار. افتح غلافك أيّهـــا المعجـــم الرّائع واسمح لي بالدخول، فأنا لا أطيق صبراً.

ضحك المعجم، فتح غلافه، وبلمـــح البـــصر انقلبت كلمة بهلوان على رأسها مختفية بـــين آلاف

الزهور البنفسجية.

القناع

انتبهت مريم إلى صوت الجرس المعلق على رقبة كبشهم، أخفت القناع تحت دفتر الرسم، وركضت نحو النافذة.

كان الغبار الذي تثيره أظلاف الخرفان العائدة من المرعى، يحجب عنها رؤية أمّها وأخيها، لكنّ ذلك لم يمنعها من الصيّاح:

-جاسم.. تعال، سأريك شيئاً.

ترك جاسم أمّه تدخل القطيع إلى الزريبة،

وركض داخلاً الكوخ الصغير .

–قلت إنّك ستريننني شيئاً، ما هو؟

وكيف أريك وأنت على هذه الحال؟

حكّ جاسم رأسه مفكراً.. قال:

–طيّب.. انتظريني، سأعود بسرعة البرق.

عندما دخل جاسم الغرفة باحثاً عن المنشفة، فوجئ بمريم تضع على وجهها قناعاً يمثــل رأس دجاجة، تركض فــي الغرفــة، تحــرّك يــديها.. وتصيح:

بق.. بق..بقيق

أمسك جاسم أخته، قال:

–أعطيني القناع، سأضعه دقيقة واحدة.

– اصنع غيره، هذا لي .

– نصف دقيقة .

- ولا ثانية .

انزعج جاسم، توجّه إلى الطّاولة، وشــرع يصنع قناعاً لــه، بينما كانت مريم ما تزال تقلّــد الدّجاجة.

بعد مدّة قصيرة، نطّ جاسم صــوب أختــه، صاح .

- همم.. أنا الثّعلب آكل الدّجاج.. سآكلك.

- خافت مريم، وركضت صارخة.

- دخلت الأم ملهوفة، قالت:

-لم الصراخ.. ألا تستحيان؟ هيا.. تصالحا ريثما أجلب البيض من القن وأحضّر لكمــا طعام العشاء.

بعد ذهاب الأم.. اتفق الــصغيران وراحــا يتحاوران.

الثّعلب: "بصوت حنون" مرحبــاً يــا أحلــى

دجاجة، كيف حالك وحال صيصانك عساكم بخير.

الدّجاجة: "بذهول" الحمد لله، كلّنا بخير .

-وزوجك.. ما أخباره؟ احكي لي .

-لا شيء جديد، يصحو باكراً كعادته ويصيح، ثم يبدأ يبحث عن الطعام، إنّه مثال الزوج في الكرم والشجاعة.

-يا سلام، أخبار سارة واللّه، لقد ملأت نفسي حبوراً وسروراً .بدأ خوف الدّجاجة وذهولها يتناقص، مع كلّ كلمة إطراء يتفوّه بها الثعلب، فأحسّت بوجهه يتغير، فالوبر تحوّل إلى ريش، والنابان الحادّان تحوّلا إلى سنين صغيرتين، كأنّهما حبتا برد، حتى أنّها لمحت عرفاً صغيراً ورديا، ينبت فوق رأسه.

-ثعلب.. بصراحة، أنا زعلانة منك.

-منّي؟! سامحك الله، وهل تزعل الأخت من

أخيها؟

-سامحني على جرأتي، لكنّك قصرّت في حقيّ.

نظر الثعلب إلى وجه الدجاجة الودودة، فلمح فيه إشارات الغباء واضحة، ابتسم وقال:

-هذا اتهام خطير، هاتِ احكِ لي.

البارحة.. ألم تأكل صديقتي؟

-أنا؟!

-الدجاجة البيضاء ما غيرها، إنّ ريشها المنتوف ما يزال منثوراً قرب الحائط المهدود في الطرف الغربي للقرية، وأوّل البارحة أكلت دجاجة أمّ ياسر، وقبله دجاجة أبو..

-لا تذكريني أرجوك، لعن الله الشيطان، المهم.. نحن أولاد اليوم، لننس الماضي ولنفتح صفحة جديدة، لقد غيّرت طباعي، صرت ودوداً..

سنعيش بمحبة وألفة وهناء و..

وارتفع صراخ الأم من خارج الكوخ:

-يا ويلي... الحقوني، لقد أكل الثعلب دجاجتي الحمراء.

نظرت مريم إلى قناع أخيها، فوجدت شكله يتغير بصورة مدهشة مع كلّ صرخة تطلقها أمّها، فالريش الجميل الذي غطى وجه الثعلب، تحوّل إلى إبر، كأنّه شوك قنفذ، والسنان الصغيران كبرا وصارا أشبه تحتجزين، أمّا العرف الوردي فقد ضمر لينبت مكانه قرن أسود مدبب.

أمّا جاسم.. فكان يرى وجه الدجاجة المرسوم على قناع أخته أشبه بوجه بومة قبيحة تسكن الخراب.

وقبل أن تدخل أمّهما الكوخ، نزع كلّ منهما قناع الآخر ومزّقاه. ثمّ راحا يدوسان بنزق القطع

المنثورة على الأرض.

المحتـــوى

لماذا نتذكّر الطّفولة ٨
أحـــلام الألعاب..... ١٢
الكأس ٢١
السّـــــــاعة..... ٢٨
العنكبوت والدّائرة..... ٣٤
الكهف ٣٩
الكلمات تسافر وحدها ٤٧
غرفـــــة الألعـــاب..... ٥٢
الطّوق الأزرق..... ٥٧
الهـــاتف..... ٦٠
فِراش من ريش..... ٦٦
الكرة الأرضيّـــة..... ٦٩

جبل السّكر ٧٤
الظّلّ المخيف ٧٨
مدينة الحروف ٨٤
الطّوابع المسافرة ٩١
حفلة تتويـــج ٩٦
خطّ التماس ١٠٤
حروف من خشب ١٠٩
أمام المرآة ١١٢
العجلة ١١٥
حكايات نجمة الصبح ١١٧
المقطورة المتمردة ١٢١
أحلام الثعالب ١٢٦
المحارب القديم ١٢٨
المعجم ١٣٣
القناع ١٣٨

■■■

للمؤلــف

- *حديقة الألحان،مجموعة قصصية، اتحاد الكتاب العــرب ١٩٩٩*
- *رسالة من المريخ مسرحية للأطفال – جــائزة الــشارقة للإبداع –المركز الأوّل ٢٠٠٠*

■■■